

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بحمدك اللهم أن جعلتنا من حاة الفصحى التي شرفتها ، فأنزلت بها كتابك الحكيم ، وقبضت له من يتلوه صباح مساء ، ووعدت بصيائته مامرت الأزمان ، وتعاقب الملوان ، حيث قلت : «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» (١) .

كما نشئ عليك أن هيات لنا كثيرا من أسباب البحث والفحص عما تضمنه من جمال وفتنة ، وجعلته سراجا يضيء لنا سبل الصواب ، وأرشدتنا إلى التيسير والتسهيل ، وهديتنا سواء السبيل ؛ ونصلي ونسلم على خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، وإمام المصلحين ، سيدنا محمد وآل محمد وصحبه أجمعين إلى يوم الدين .

وبعد فكل ميدان من ميادين الحياة عرضة للتزلزلات ، وبجال قد تتعثر فيه الخطوات ، وبخاصة ميدان الكلام ، وهامى ذى لغتنا العربية لم تسلم من الدخيل حتى فى زمن شبابها ، فقد وجدت فى بعض أشعار العرب القدامى ألفاظ أعجمية معربة ، بيد أن اللحن فى الإعراب ، والخطأ فى اللغة - لم يجدا آتذد طريقاً إلى نتاجهم من منظوم ومثور ، ولكن لما كثرت الفتوح الإسلامية واختلط العرب والعجم بالمصاهرة والمجاورة - فشت فيها أساليب لم تساير ماتواضع عليه العلماء من القوانين ؛ حتى صارت خطراً يتهدها !

وأغلب الظن أن مرد ذلك هو ميل النفوس إلى العادات ، وقلة الإلّف باللغات ، وأى خطب أدهى وأفطع ، وأمر وأوجع من شيوع الأغاليط ، ووقوع التخاليط فى اللسان العربى المبين ، مراقبة علوم الدين ، وسيد الثقافات المتين ؟

من أجل هذا هب كثير من علماء اللغة يحاربون ملحق بلغتهم من الفساد ، ويستأصلون شأفته ؛ ليعيدوا بناءها على أساس سليم ، فرأيت لزاما على أن أشارك فى توطيد هذا الصرح :

وذلك بأن أدلى دلوى بين دلاء أولئك الذين أخذوا على عواتقهم أن يَقِفُوا سربان هذا الداء الوبيل ، ويدبروا عنها هذا الخطب الثقيل !

شمرت عن ساعد الجد ، وامتنطيت جواد المطالعة ، وركضت في ميدان المراجعة ، حيث ذل لي مركبها ، وصفالى مشربها ، فتناولت بالنقد كثيرا من تعبيرات أولئك الذين يدعون أنهم فرعوا منابر الثقافة اللغوية ، وبرزوا في صفوف المنشئين ، وأخذت أقلبها ظهرا لبطن كما يقلب المشتري المتاع ، فألقيت فيها كثيرا مما لم يتمش مع منقول اللغة ، أو أنزل في غير منزله ، وكان سببا في تشويه العبارة ، أو بعدها عن جودة السبك .

ولكى أمكن لطلاب اللغة العربية أن يتصلوا بقديهم ، ويرقلوا سلم سلفهم من رجال البلاغة والأدب ، فيتقيلوهم ليصبحوا مستمسكين بما وضعوا من قواعد ، ومارسوا من مناهج هي المورد العذب ، والمعين السائغ - فنت بتأليف هذا الكتاب ، ليستأنسوا به ، ويرجعوا إليه ، ويعولوا عليه فيما يعرض لهم من المشكلات ، ويكون تبصرة وذكرى لمن شاء أن يذكر .
وهأنذا - بحمد الله وتوفيقه - قد أبدت كل ما حواه بما كنت أستمده من خالد لايفنى زهره ، ولا ينمحي أريجها ، ذلك هو كتاب الله الحكيم ، وسنة رسوله الكريم ، وبما كنت أقع عليه من الآثار الأدبية التي خلفها من يوثق بهم من الشعراء والكاتبين ، وأسميته :

« شمس العرفان بلغة القرآن »

وقد قصرته على إصلاح ما يبدو لي من أخطاء بعض الخاصة الذين يدعون أنهم تسنموا قمم الأدب ، وجعلوه بضاعتهم وأداة معاشهم .

تناولت هذه الأخطاء بالإصلاح والتهديب ، وكان أعجب ما عجت له أنهم ضاهتوا العامة في بعض مافرط من كلامهم ، أو زلقت به أسلات أقلامهم ، ولم أقصد بذلك إلا إمدادهم بما خفى عليهم ، وضلوا عن جناه سواء السبيل .

ونشر هذا الكتاب يقرب إلى شدة اللغة والأدب ما لا يمكنهم الوقوف عليه إلا بعد تنقيب ومعاينة في مراجع اللغة التي قد تستوعب المادة الواحدة منها الصفحات .

وختاما أود أن أكون قد حققت رغبات المنشئين ، وبصرتهم بما ند عن أذهانهم ، وفتحت أمامهم أبواب البحث والقحص ؛ ليسلكوا سبل السداد .

فإذا كنت قد أصبت فالحير أردت ، وإلافحسبي أن غاية الوسع بذلت ، ولي من نقد رجالات اللغة ماعساه يجلو ماعلى غمض ، ويفتح لي ماعلى استغلق .

والآن - وقد أعذرت لنفسى بما قدمت - أسأل الله جلّت قدرته أن يجنبنا الزلزل ، ويوفقنا إلى سلامة القصد ، ويعمل عملنا مقبولا عنده وعند القراء ، ويجزل لنا من فضله جميل الثواب ، إنه سميع الدعاء مجيب ،

عباس أبو السعود

المفتش العام السابق بوزارة التربية والتعليم